(٦)

ثعابين الصهاينة
وعطر «القسام»

★★ لماذا لم يكتف «عز الدين القسام» بمقاطعة اليهود . ؟

★★ وكيف تحول من «واعظ دينى» إلى قائد «عصابة» ؟!

□■□

★★ أسلحة الصهاينة فى «يوميات هرتزل» لإخلاء فلسطين من أهلها :

الترهيب ، والترغيب ، والتحايل ، واستخدام العرب فى نقل القاذورات «والثعابين» !!

□■□

★★ وجابوتنسكى يقول للحاكم البريطانى فى فلسطين :

تجربة أمتكم العريقة فى الاستعمار .. تؤكد أن
استعمارنا لهذه البلاد ، لن ينجح دون سفك دماء العرب !

□■□

★★ سلطات الاحتلال البريطانى فى فلسطين :

تقدم «شباب العرب» للمحاكمة بتهمة «التحريض» على مقاطعة اليهود .
وتحمى الصناعات اليهودية بفرض الضرائب على السلع العربية !

□■□

★★ ما أشبه اليوم بالبارحة :

★ بريطانيا تضغط على الحكام العرب لوقف انتفاضة الفلسطينيين عام ١٩٣٦ .

★ وأمريكا تطلب من عرفات وقف انتفاضة «النفق» عام ١٩٩٦ .

نحن الآن .. فى ذاكرة الأحزان

نحن الآن ، نبحر فى أوراق الأيام .. نفتش عن الثورة ، والمقاطعة ، و«نسمات» الشهيد عزالدين القسام .. نتحسس معاً خطوات المسيرة «المجهولة» للمقاطعة الشعبية العربية لكل ماهو صهيونى على أرض فلسطين .. تلك المسيرة التى بدأت عام ١٨٨٢ مع زحف "الموجة الأولى" للمهاجرين اليهود على فلسطين .. وطالت ، وامتدت حتى بلغت الآن مائة وخمسة عشر عاماً فى عمر الأيام .

★★★

فى البداية : كانت الخطوات الأولى لهذه المسيرة ، فردية ، وعفوية ، وغير منظمة .

ويوماً بعد يوم : راحت أساليب المقاطعة العفوية تنضج وتتبلور .. وراحت مسيرتها الشعبية تزداد تلاحماً وتنظيماً من خلال تلك «المحطات المتعددة» [١] التى شهدتها المسيرة المجهولة للمقاطعة العربية .. عاماً بعد عام

●● ففى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٢٩ مثلاً : كتب المندوب السامى البريطانى إلى وزير المستعمرات فى لندن يقول : «العرب لا زالو يكنون مشاعر مريرة ، ضد اليهود .. وفرض المقاطعة العربية لهم ، لا يزال مستمراً .. أما المحرضون على هذه المقاطعة فيعملون سراً ، متجنبين افتضاح أمرهم» [٢] .

●● وفى خريف نفس العام - ١٩٢٩ - شكل تجار مدينة القدس لجنة عربية للإشراف على مقاطعة البضائع والتجار اليهود ، وانتشرت فكرة تشكيل هذه اللجان ، فانتقلت من القدس إلى بقية المدن الفلسطينية حتى أن التجار العرب رفعوا الكتابة «العبرية» عن اللوحات التى تعلن عن أسماء محلاتهم أو أسماء البضائع التى يتاجرون فيها .. كما نشرت الصحف العربية ، إعلانات تطلب فنيين عرب من البلاد العربية المجاورة للاستغناء عن الفنيين اليهود ،

---

(١) هانى الهندى : مصدر سابق

(٢) دكتور عبد الوهاب الكيالى - صفحة (٢٤٥) - مصدر سابق .

تجاوباً واستكمالاً واحكاماً لحركة المقاطعة .. وقد بلغ سلاح المقاطعة العربية لليهود ، حداً «باهراً» فى يافا .. حيث أجبرت الجماهير مجلس بلدية المدينة على اتخاذ قرار بمقاطعة شركة كهرباء فلسطين اليهودية «روتبرج» وإنارة المدينة بمصابيح الغاز .. ونظمت سلطة الانتداب البريطانى - وقتها - حملات مضادة لشل حركة المقاطعة .. بل وقدمت العديد من الشباب العرب للمحاكمة بتهمة «التحريض» على المقاطعة العربية للبضائع والمتاجر والمصنوعات اليهودية .. دون أن يتم طبعاً تقديم أى "يهودى" للمحاكمة " بنفس التهمة .. وهم الذين زرعوا منذ البداية فكرة المقاطعة اليهودية للبضائع والمتاجر العربية .. واستخدموها كسلاح «لخنق» عرب فلسطين ، وارغامهم على ترك أراضيهم بحثاً عن الرزق فى الدول العربية المجاورة .. بل وكون الصهاينة مجموعات سرية وعلنية لمراقبة مدى التزام كل المستوطنين اليهود فى فلسطين بمقاطعة البضائع والمتاجر ، وكل ما هو عربى على أرض فلسطين . !!!

هكذا اعترف واحد من قادة اليسار فى إسرائيل وهو «آرى بوبر» على صفحة (١٢) من كتابه الشهير «إسرائيل الأخرى» .

●● وفى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٢٩ شهدت «حيفا» مؤتمراً شعبياً حضره (٤٥) مندوباً من كافة المدن الفلسطينية ، وقرروا فى هذا المؤتمر الاحتجاج على قيام سلطات الانتداب البريطانى بفرض ضرائب تستهدف حماية الصناعات اليهودية .. كما قرروا أيضاً تكوين شركة وطنية برأسمال قدره مائة ألف جنيه لتنشيط التجارة والزراعة والصناعة الفلسطينية وطالبوا بتأسيس بنك زراعى فلسطينى لخدمة الزراعة والزراعيين العرب فى فلسطين .

وفى نهاية المؤتمر: أقسم المجتمعون على المحافظة على الأراضى والعقارات الفسطينية ، وعلى ألا يشتروا شيئاً من أعداء الوطن ، لا مباشرة ولا بالواسطة .

●● وفى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩ ، عقد فى القدس اجتماع عربى عام إشترك فيه مندوبون من جميع أنحاء فلسطين وسوريا والأردن ولبنان ، ورفعوا فيه بياناً إلى لجنة التحقيق البريطانية المعروفة باسم «لجنة شو» هاجموا فيه وعد بلفور والسياسة البريطانية وأقسم أعضاء المؤتمر على منع بيع الأراضى العربية لليهود ، وعلى مقاطعة المصنوعات والمتاجر اليهودية ، وتنشيط المصنوعات والبضائع العربية ، ومناشدة كل عربى ، ودعوته إلى اعتناق هذا المبدأ ، والعمل على تنفيذه بكل وسيلة ، ومقاطعة كل عربى يشترى من اليهود غير الأرض .

●● وفى مارس سنة ١٩٣٢ دعت اللجنة التنفيذية العربية إلى «مقاطعة معرض تل ابيب وعدم الاشتراك فيه أو زيارته ، وسوف تنشر اللجنة بياناً فى هذا الصدد موجهاً إلى الدول العربية المجاورة وحكوماتها راجية أن تكون الأمة العربية الفلسطينية التى يمسها ضرر هذا

المعرض مباشرة قدوة لغيرها من البلدان العربية فى الاتحاد العام ، لكى تكون المقاطعة تامة ، لا تشوبها خيانة أحد بالخروج على هذا القرار العام لصالح الأمة العربية جميعها » [١]

●● وفى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٣٩ .. وجهت اللجنة التنفيذية العربية نداءاً شهيراً لكل من العالم العربى والعالم الإسلامى ، دعتهما فيه إلى مقاطعة المصنوعات والمتاجر اليهودية .. وجاء ضمن ما جاء فى هذا النداء أن «عرب فلسطين ، قد اعتزموا مقاطعة المصانع والمتاجر اليهودية فيها .. وهم يرجون من عموم إخوانهم فى العالمين العربى والإسلامى ، أن يحترموا هذا القرار ، وأن يشاركوهم مقاطعة جميع مصنوعات اليهود ومنتجاتهم ، وهى معروفة بعلاماتها وطوابعها وصبغتها اليهودية .. وعرب فلسطين يتوسلون إلى زعماء البلاد العربية، وبصحفها عامة ، الاستمرار فى حض الأمة العربية على المؤازرة» [٢] .

★★★

هذه - على سبيل المثال - بعض المحطات السريعة فى مسيرة الشعب الفلسطينى ومقاومته "السلمية" للخطر الصهيونى من خلال استخدامه للمقاطعة العربية كأسلوب من أساليب المقاومة غير المسلحة ضد الصهاينة الغزاة .

ومنذ الموجة "الأولى" للهجرة اليهودية إلى فلسطين ، والتى تحددها الموسوعة الصهيونية - كما أشرنا من قبل - بالفترة الواقعة بين عام ١٨٨٢ وعام ١٩٠٣ .

وكما أوضحنا - تفصيلاً - فى الفصل السابق .. سار الاستيطان اليهودى فى فلسطين ، مثلما قال «أرى بوبر» [٣] تحت ثلاث شعارات أساسية .. الأول هو "احتلال الأرض" .. والثانى هو «احتلال العمل» .. والثالث هو «شراء الانتاج العبرى فقط» .

وتطبيقاً للشعار الأول وهو احتلال الأرض ، قامت المؤسسات الصهيونية المتخصصة ، والصندوق القومى اليهودى ، بشكل خاص بشراء أراضى فلسطين تحت ستار «الافتداء الدينى» بالأموال المجموعة عن طريق التبرعات والمساهمات اليهودية ، وجعل الأراضى المشتراة . ملكاً ثابتاً للشعب اليهودى كله بعد شرائها من عرب فلسطين ، بالترهيب والترغيب والتحايل .. «وكانت المبادئ التى اعتمدها الصندوق اليهودى تمنع بيع تلك الأراضى المشتراة ثانياً للعرب وتقضى بضرورة تسليمها للمزارعين اليهود عن طريق الايجار المتوارث ، بإعتبار هذه الأرض وقفاً أبدياً للشعب اليهودى ، لا يجوز بيعه ، أو التصرف فيه، وأن يتاح المجال ، أمام العمال اليهود ، الذين لا يملكون مالاً وفيراً لكى يتمكنوا من

---

(١) "وثائق المقاومة الفلسطينية" - صفحة (٢٥٦) مصدر سابق

(٢) وثائق المقاومة الفلسطينية - صفحة (٢٥٠) - مصدر سابق .

(٣) أرى بوبر - "إسرائيل الأخرى» - صفحة (١١) مصدر سابق .

الاستيطان فى تلك الأراضى» [1]

وها هو نبى الصهيونية نفسه «تيودور هرتزل» يكشف لنا فى يومياته التى سجلها بخط يده منذ أكثر من مائة عام وبالتحديد فى يوم ١٢ يونيه ١٨٩٥ .. ها هو يكشف لنا صراحة فيما سجله فى هذه اليوميات عن بعض ما أسماه بالطرق والوسائل المختلفة التى يجب إتباعها «لإرغام» الفلاحين العرب على بيع أراضيهم أو تركها خوفاً .. تنفيذاً للمخطط الصهيونى الذى يعتبر «طرد السكان الفلسطينيين أمر حتمى وضرورى لإقامة دولة يهودية نقية وخالصة».!!!

●● كيف ؟!

يقول تيودور هرتزل : «بالترهيب أو الترغيب ، أوالتحايل .. بالعنف والبطش وغارات السلب والنهب .. أو باستخدام السكان الأصليين فى مهن حقيرة ، كنقل الثعابين ، والقاذورات وما شابه ذلك .. أو بعرض أثمان مرتفعة للأرض ، أو الرشوة أو الهدايا ، أو السماسرة ، أو إدعاء الملكية بالسندات المصطنعة ، أو منح السكان الأصليين وظائف أحسن فى دول أخرى يقيمون فيها إلى الأبد» [2] !!

تلك كانت خطتهم - ومازالت ! - من أجل طرد السكان الأصليين لأى أرض يقيمون عليها «الدولة اليهودية الكبرى سواء كان ذلك فى قبرص أو الأرجنتين أو أوغندا ، أو فلسطين ، أو شبه جزيرة سيناء . أو حتى الوجه البحرى من إقليم مصر» [3] !!!!

هكذا يقول المؤرخ اليهودى الشهير إيلى ليفى أبو عسل فى كتابة القديم «يقظة العالم اليهودى» .

وفى ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٧ نشرت مجلة «الجيوش كرونيكل» وثيقة هامة موقعه بخط حاييم وايزمان الذى أصبح فيما بعد أول رئيس لدولة إسرائيل - يؤكد فيها بأن «مشروع تقسيم فلسطين ، وتوطين اليهود بها .. تنفيذاً لوعد بلفور ، يتوقف بخاصة على مدى إخلاص الحكومة البريطانية فى تنفيذ التوصية الخاصة بتفريغ فلسطين من سكانها العرب ، ونقلهم أو إرغامهم على الفرار إلى البلاد المجاورة» [4] .

وهو ما فعلته طبعاً سلطات الانتداب البريطانى «باخلاص شديد» تغنت به الكثير من المراجع اليهودية نفسها .. وتأكيداً لذلك ، وعلى صفحات صحيفة «دافار» الإسرائيلية

---

(١) وزارة الدفاع الوطنى اللبنانى ومؤسسة الدراسات الفلسطينية - « القضية الفلسطينية والخطر الصهيونى» - صفحة (١١١) - بيروت - سنة ١٩٧٣ .

(٢) يوميات تيودور هرتزل - الجزء الأول - صفحة (٨٨ ، ٩٠ ، ١٩٨) .

(٣) إيلى ليفى أبو عسل - «يقظة العالم اليهودى» - صفحة (١٠١) مطبعة النظام بمصر - سنة ١٩٢٤ .

(٤) أرسكين تشايلدرز- «الرغبة الصامتة: من مواطنين إلى لاجئين» صفحة (٦٧١) ترجمة إبراهيم أبو لغد .

الصادرة فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦٧ قال أيضاً «جوزيف وايتز» مسئول الاستيطان فى الوكالة اليهودية ، أنه هو وغيره من الزعماء الصهاينة يؤمنون منذ القدم بأنه «.. لا يوجد مكان لكلا الشعبين العربى واليهودى فى فلسطين ، وأن تحقيق الأهداف الصهيونية يتطلب تفريغها من سكانها العرب ، لذلك ينبغى نقلهم جميعاً إلى الدول العربية المجاورة .. وبعد إتمام عملية النقل هذه .. ستتمكن هذه البلد من استيعاب الملايين الجدد من اليهود» .

ونبه كل من إسرائيل زانجو ويل ، وآرثر روبين إلى ضرورة أن تواجه الصهيونية مشكلة وجود عدد كبير من السكان العرب فى فلسطين «.. أو فلنطردهم بحد السيف كما فعل أسلافنا من قبل»[١] .

وفى خطابه أمام اللجنة الملكية لفلسطين عام ١٩٣٧ قال الإرهابى الشهير «جابوتنسكى» واليهودى المعروف بفيلسوف العنف فى الحركة الصهيونية ، موجهاً كلامه إلى أعضاء اللجنة الانجليزية المشرفة على فلسطين : «يا ممثلى المملكة البريطانية المجيدة .. إن أمة كأمتكم ، عريقة فى تجربتها الاستعمارية العملاقة ، تعرف بالتأكيد أن استعمارنا لفلسطين ، لن ينجح دون نزاعات مع أهلها .. ودون سفك دمائهم .. لذا يجب السماح لليهود ، بإقامة حرس خاص بهم ، مثل الأوربيين فى كينيا»[٢]

وبعد عام واحد من ذلك التاريخ .. وخلال اجتماع فرع منظمة «بيتار» فى بولنده .. وهى منظمة عسكرية صهيونية ترأسها مناحم بيجن عام ١٩٣٩ .. فى هذا الاجتماع لعب بيجن ، تلميذ جابوتنسكى المخلص ، دوراً فعالاً فى تغيير الولاء للصهيونية ليتضمن «قسماً بالاستيلاء على الوطن اليهودى وتكوينه بقوة السلاح»[٣]

وقبل هذا القسم ، بأكثر من ثلاثين عاماً .. كانت قد تأسست عام ١٩٠٧ منظمة عسكرية صهيونية سرية ، شعارها يقول : «لقد سقطت يهودا بالدم والنار ، وسوف تنهض ثانيا بالطريقة نفسها» وهى المنظمة التى عرفت عام ١٩٠٩ باسم منظمة «الهاشومير» وتحولت عام ١٩٢٠ إلى منظمة «الهاجاناه» بصفها الجناح العسكرى للوكالة اليهودية ، فضلاً عن أن منظمة «الأرجون» العسكرية الصهيونية ، كان شعارها هى الأخرى ، يداً تمسك بندقية فوق خريطة فلسطين وشرق الأردن ، وتحتها جملة واحدة تقول نصاً : «هكذا فقط» .. أى هكذا «بالبندقية» فقط ، سوف نغتصب فلسطين .

---

(١) عابدين جبارة وجانيس تبرى - «العالم العربى من القومية إلى الثورة» - صفحة (١٧٠) - طبعة ١٩٧١ .

(٢) «الفكرة الصهيونية ، النصوص الأساسية» - صفحة (٤٣٦) ترجمة لطفى العابد وموسى عشر - بيروت - فى ١٩٧٠

(٣) موسوعة الصهيونية وإسرائيل - المجلد الأول (بيجن) .

ومعروف أن منظمتا الأرجون ، والهجاناه ، قد اندمجتا معاً عام ١٩٤٨ وكونتا ما يعرف إلى الآن باسم «جيش الدفاع الإسرائيلى» .. أداة الإرهاب والاغتصاب الصهيونى الرسمى لفلسطين .

★★★

وكلود كلاين - هو الآخر - صهيونى متحمس ، يعمل استاذاً بالجامعة العبرية فى القدس، وفى ذات الوقت يعمل أيضاً مديراً لمعهد القانون المقارن ، وله كتاب شهير إسمه «الصفة اليهودية لدولة إسرائيل» وفيه يعترف بأن «قانون الصندوق القومى اليهودى، الذى لا يزال سارياً فى إسرائيل حتى الآن ، ينص صراحة على أن «الأراضى التى انقذها الصندوق واشتراها من العرب فى فلسطين ، تعتبر الآن أرضاً إسرائيلية ، وهذه الأرض لا يجوز بيعها لغير اليهودى ، ولا تأجيرها لغير اليهودى ، ولا زراعتها بواسطة غير اليهودى» . !!

هذا عن الشعار الأول . شعار « إحتلال الأرض » الذى قال « آرى بوبر » أن الاستيطان الصهيونى فى أرض الميعاد ، قد سار عليه .. وهو ما أوضحناه تفصيلاً فى فصل سابق .

وتطبيقاً للشعار "الثانى" وهو شعار «إحتلال العمل» .. يعترف بن جوريون نفسه ، وهو من مهاجرى الموجة الثانية ، بأنه هو رفاقه الذين كانوا يعملون معه فى مستعمرة «بتاح تكفا» قرب يافا ، ومستعمرة « الشجرة » قرب الناصرة «.. قد طردوا العمال العرب وقاموا بتنظيم الحراسات ، وكلفوا الشباب اليهودى بالقيام بها بعد طرد البدو والحراس العرب ، واسسوا منظمة هاشومير - أى الحارس - التى كانت نواة لمنظمة الهاجاناة» [١]

وفى معظم الوقت : رافق تطبيق شعار «إحتلال العمل» فى كل مراحل تطوره ، حملات إعلامية وضغوط سياسة وتنظيمية ويهودية ، وصلت إلى الحد الذى قام فيه الاتحاد العام للعمال اليهود - الهستدروت - الذى تأسس عام ١٩٢٠ «بتجنيد مجموعات مسلحة من العمال اليهود المستوطنين فى فلسطين ، وقامت هذه المجموعات اليهودية المسلحة بضرب العمال العرب ، وطردهم - علنا - من أماكن العمل اليهودية» [٢]

أما الشعار الثالث ، وهو «شراء الانتاج العبرى فقط» .. فقد كان معناه ممارسة مقاطعة يهودية صارمة ضد المنتجات والبضائع العربية ، وأصبح اليهود بمقتضاه ملزمون بشراء كل احتياجاتهم من المزارع والمتاجر اليهودية فقط .. بل وأن يمنعوا «بالقوة» أى مستوطن يهودى فى فلسطين من التعامل مع المتاجر العربية ، وهو ما

(١) مرشيه بيرلمان - «بن جورين ينظر إلى الماضى» - صفحة (٢٢) - لندن - سنة ١٩٦٥ .
(٢) هانى الهندى - صفحة (٥٢) - مصدر سابق .

اعترف به صراحة الكاتب الإسرائيلي المعروف «آرى بوبر» فى كتابه «إسرائيل الأخرى» وأوضحناه تفصيلاً فى فصل سابق .

★★★

وفى مواجهة لجوء المستوطنين والمنظمات اليهودية فى فلسطين إلى «العنف» .. دون رادع حقيقى من السلطة العثمانية الضعيفة ، أو السلطة البريطانية المتآمرة مع اليهود ، ضد أهالى فلسطين .

وفى مواجهة زيادة واستمرار الاعتداءات اليهودية المسلحة على العمال العرب ، شعر أهالى فلسطين بأن مقاطعتهم "السلمية" للصهاينة وللمنتجات الصهيونية . لم تعد وحدها تكفى .. فاضطروا إلى حمل "السلاح" لحماية أنفسهم ، ورد الاعتداءات اليهودية والبريطانية المتكررة عليهم .. حيث اشتعلت الانتفاضة المسلحة الأولى فى مدينة القدس فى الرابع من شهر ابريل سنة ١٩٢٠ .. ولم يستطع الانجليز وقفها إلا بعد أن استمرت أربعة أيام متتالية واستشهاد أربعة عشر «عربياً» وجرح العديد من أهالى فلسطين .

وبعدها بنحو عشرين يوماً فقط ، وبالتحديد فى الأول من مايو سنة ١٩٢٠ ، شهدت يافا عصيانا محليا مسلحا ، سرعان ما امتدت نيرانه إلى العديد من المدن والقرى الأخرى ، واستمرت هذه الصدامات خمسة عشر يوما متتالية سقط خلالها (١٥٧) شهيداً و (٧٠٥) جريحاً فلسطينياً .

وفى القدس : انفجرت الانتفاضة الثالثة لأهالى فلسطين التى تعرف بثورة «البراق» ضد الصهاينة وقوات الانتداب البريطانى فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٩ وامتدت إلى سائر انحاء فلسطين وخاصة صفد .. والخليل .. واستمرت سبعة أيام سقط خلالها (٣٥١) شهيداً و(١٧١٩) جريحاً فلسطينياً .

وكما يقول هانى الهندى : كان الطابع المميز لنضال الشعب الفلسطينى فى العشرينات استخدامه الوافر لأساليب الكفاح السياسى «السلمى» مثل المؤتمرات والمظاهرات ، والمقاطعة الاقتصادية ، وعرائض الاحتجاج ، رغم ظهور بعض المحاولات المسلحة الصغيرة التى لجأ إليها أهالى فلسطين ، رداً على اعتداءات اليهود عليهم .

وفى الثلاثينات : تقلص حجم أساليب هذا النوع من الكفاح السلمى ، ولم تشهد هذه المرحلة إلا انعقاد مؤتمر يافا الشعبى فى مارس ١٩٣٣ الذى تقرر فيه وجوب الامتناع عن دفع الضرائب ومقاطعة الحكومة البريطانية ، وعدم التعاون معها ، والدعوة إلى مقاطعة البضائع الانجليزية والصهيونية معاً .. وازداد ثقل الكفاح "المسلح" واتسع نطاقه حتى امتد إلى معظم أنحاء فلسطين ، إدراكاً من أهلها الأصليين ، بأن الحق دائماً يضيع إذا لم يكن هناك قوة

تحميه ، وأن الاستشهاد فى سبيل الوطن ، هو أشرف غاية ينشدها الشرفاء .

★★★

لهذا : حمل «عز الدين القسام» سلاحه فى الثانى من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٥ ، وخرج مع رفاقه إلى ريف «جنين» يدعو الفلاحين إلى حمل السلاح ، والثورة على الصهاينة والبريطانيين معاً .

وقبلها : كان عز الدين القسام الذى ولد فى قرية «جبلة»[١] السورية ، عام ١٨٧١ ميلادية، قد نشأ وترعرع فى رحاب العلم والدين والوطنية .. درس فى مصر علوم الدين والدنيا على يد الشيخ محمد عبده ، وعاد منها إلى سوريا ، ليعمل مدرساً فى مسجد نفس البلدة التى ولد فيها .

ولما اندلعت الثورة ضد الاحتلال الفرنسى للساحل السورى عام ١٩١٨ .. كان الشيخ عز الدين القسام من أوائل السوريين الذين لبوا نداء الثورة ، وشنوا هجمات بطولية ناجحة ، كبدت قوات الاحتلال الفرنسى العديد من الخسائر فى الأرواح والمعدات .

وبعد أربعة أعوام من الجهاد المتصل ، حكم الفرنسيون عليه بالاعدام .. فلجأ عز الدين القسام إلى حيفا عام ١٩٢٢ حيث أقام بها وعرف فيها بأنه «واعظ ومرشد دينى ورئيس جمعية الشبان المسلمين فى المدينة» .. إلا أنه فى الحقيقة كان أكثر من ذلك بكثير .. ذلك لأنه كان داعية ثورة ومؤسس جماعة من المجاهدين ، عرفت بعد استشهاده فى عام ١٩٣٥ .. باسم «كتائب القساميين» .

وقد مرت "ثورة القسام" بأربع مراحل :

●● المرحلة الأولى : مرحلة الاعداد للثورة ، وهى تلك التى كان القسام فيها واعظاً دينيا فى الظاهر .. إلا أنه كان فى الواقع ، مؤسساً لخلايا جهادية ، شعارها «هذا جهاد .. نصر أو استشهاد» وقد إنضم إليه كثير من المؤمنين بهذا الشعار ، وغالبيتهم من العمال ، والفلاحين والطبقات البسيطة الكادحة ، وكانت «كتائب القسام» فى مرحلتها الأولى هذه .. كتائب «سرية» تتجهز بالسلاح ، من أموال تجمعها من دخل أعضائها ، وتبرعاتهم ، وتبرعات المخلصين لقضية التصدى للخطر الصهيونى ومحاربته .. ومن بينهم الحاج أمين الحسينى قائد الحركة الوطنية فى فلسطين وقتها ، الذى كانت تربطه بعز الدين القسام علاقة نضال مشتركة، استمرت حتى استشهاد القسام فى السابع عشر من نوفمبر عام ١٩٣٥ .

---

(١) بيان نويهض الحوت : «القيادات والمؤسسات السياسية فى فلسطين من ١٩١٧ وحتى ١٩٤٨ – صفحة(٢٥) – مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت – فى عام ١٩٨١ – وكذلك : د . ياسين سويد «مؤامرة الغرب على العرب» صفحة (١١٢) – المركز العربى للأبحاث – بيروت – فى إبريل ١٩٩٢ .

أما الكتائب نفسها : فقد كان القسام يشكلها من «خلايا» على شكل حلقات متصلة ، ومنفصله في وقت واحد .. حيث كانت كل حلقة أو خلية تتكون من خمسة أفراد على الأكثر، بينهم مسئول عن توجيههم وتثقيفهم ، وإدارتهم ، وقياداتهم .

وهذه الحلقات أو الخلايا - في النهاية - تشكل في مجموعها خمس وحدات مختلفة .. الأولى لشراء السلاح ، والثانية : للتدريب العسكري .. والثالثة : للإستخبارات ومراقبة تحركات اليهود والانجليز في فلسطين ، والرابعة : للدعوة إلى الجهاد في المساجد والتجمعات المختلفة .. والخامسة : للاتصالات السياسية .

أما «قيادة» هذه الكتائب المسلحة ..فلم تكن لعز الدين القسام وحده ..وإنما كانت قيادة، جماعية «تتألف منهم الكتائب نفسها .. فمنهم من قال أنها كانت تتألف من اثنى عشر عضواً».. وإن كانت الآراء قد اختلفت في عدد الاعضاء الذين كانت تتألف من «مئات عديدة» من الأعضاء المجاهدين .. ومنهم من قال أنها كانت تضم فقط من ما بين «مائتى إلى ثلثمائة مجاهد لا أكثر» .

●● والمرحلة الثانية : وهى مرحلة العمل «السرى» .. ولا يمكن تحديد تاريخ بدء هذه المرحلة بالضبط ، خاصة وأنها اتسمت «بالسرية» التامة والمطلقة ، واشتملت على «كل أعمال وأشكال التصدى لدوريات الجيش والشرطة البريطانية ، وقطع طرق مواصلاتها ، والإغارة على ثكناتها ، ومراكز تجمعها ، ومهاجمة حرس المستعمرات اليهودية ، وزرع الألغام والمتفجرات فيها بالإضافة إلى ملاحقة وتأديب الذين يخرجون عن الشعب ومصالحه ، مثل التعاون مع حكومة الاحتلال ضد الحركة الوطنية ، أو التجسس لحساب المخابرات البريطانية ، أو بيع الأراضى الفلسطينية لليهود أو السمسرة عليها لحساب الاعداء» [1] .

ومن فرط السرية : لم تكن كتائب القسام تعلن مسئوليتها عن كل هذه الأعمال "الجهادية" التى كان من بينها .. ذلك الهجوم الشجاع الذى شنوه في الأول من شهر ديسمبر سنة ١٩٣٢ على مستعمرة «نحلال» اليهودية بالقذائف والقنابل اليدوية ، وأسفر عن مقتل العديد من المستوطنين اليهود ، ومن بينهم الصهيونى المعروف «يوسف اليعقوبى» وإبنه «داود» .

●● والمرحلة الثالثة : هى مرحلة الجهاد «العلنى» ، وهى التى بدأت فى الذكرى الثامنة عشر لصدور وعد بلفور .

وتحديداً : فى الثانى من نوفمبر عام ١٩٣٥ .. حيث خرج عز الدين القسام وبعض رفاقه إلى أحراش «يعبد» بمنطقة «جنين» .. وأعلن الثورة على المحتل البريطانى ، والوجود

---

(١) أميل الغورى - «فلسطين عبر ستين عاماً» - الجزء الأول - صفحة (٢٥٢) دار النهار للنشر - بيروت - فى عام ١٩٧٢ .

الصهيونى فى فلسطين .. وراح يدعوا الفلاحين - علناً - إلى عدم الاكتفاء بالمقاطعة «السلمية» للبضائع والمنتجات اليهودية والانجليزية فى فلسطين .. وانما إلى ضرورة تطوير هذه المقاطعة السلمية ، والانتقال بمسيرتها «السلبية» إلى الثورة «والكفاح المسلح» ، والتصدى للخطر الصهيونى بالفداء والاستشهاد .

وعلى أثر ذلك : تحركت قوات الاحتلال البريطانى فى فلسطين لمطاردة الشيخ المناضل ورفاقه .. وكان دليلها فى تعقبها لعز الدين القسام ورفاقه .. ضابط أمن يدعى «أحمد نايف» قادهم إلى مكمن «القساميين» الذين خاضوا ضد القوات البريطانية معركة عنيفة ، وباسلة ، وغير متكافئة استمرت أكثر من ساعتين ، واستشهد فيها البطل المجاهد عز الدين القسام ومعه بعض رفاقه الأبرار مثل المجاهد يوسف عبدالله الزيباوى والمجاهد سعيد عطية المصرى فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٥ .. فخرج الآلاف من أهالى فلسطين فى وداع القسام ، ورفاقه الأبطال ، ولفوا نعوشهم بالاعلام الفلسطينية .. ودفنوا المناضل عز الدين القسام فى قرية « الشيخ» إحدى قرى فلسطين التى استشهد القسام دفاعاً عن عروبتها .

أما الضابط «الخائن» أحمد نايف .. فسرعان ما لقى جزاء خيانته ، بأن أغتيل على يد «القساميين» أنفسهم فى مدينة حيفا «وفى وضح النهار» [1].

●● المرحلة الرابعة : وهى مرحلة العودة إلى «السرية» .. والتى بدأت فى أعقاب استشهاد عز الدين القسام ، بعد أن تركت ثورته المسلحة ، أثرها العميق ، والنبيل فى نفوس كل الفلسطينيين الذين راحوا يكبروه ، ويعظموه حتى القداسة ، بل ويتغنون فيما بينهم بسيرته العطرة .

واستمر رفاق القسام على نفس الخط الذى رسمه لهم قائدهم الشهيد .. حيث عادوا إلى العمل الجهادى "السرى" مرة ثانية ، ونفذوا سلسلة من الاغتيالات لعدد من "الخونة والجواسيس الخارجين على الثورة وعلى المبادئ الوطنية من الفلسطينيين أنفسهم» [2] .. وكذلك قام رفاق القسام باغتيال العديد من المستوطنين الصهاينة والمسئولين البريطانيين ومساعديهم العملاء مثل "حليم بسطة" مساعد قائد الشرطة البريطانية فى حيفا .. والمستر «أندروز» حاكم منطقة الجليل ، فى فلسطين العربية .

ويوماً بعد يوم : تحولت دماء القسام ورفاقه..إلى ثورة عارمة عمت جميع أنحاء فلسطين، وتفجرت فى الأول من مايو سنة ١٩٣٦ .. أى بعد أيام قليلة من إعلان الإضراب العام الشامل براً وبحراً والذى بدأته يافا والقدس وتطور فأصبح ثورات عرب فلسطين وأضخمها .. تلك الثورة التى استمرت خمسة أشهر ونصف ، وعرفت باسم «الثورة العربية الكبرى» والتى

(١) أميل الغورى - «فلسطين عبر ستين عاماً» - ج (١) - صفحة (٢٥٣) - مصدر سابق .
(٢) الحوت - القيادات والمؤسسات السياسية فى فلسطين» - صفحة (٤٠٦) - مصدر سابق .

التحق بها عدد كبير من الشباب العرب الذين جاءوا إلى فلسطين من مصر ، والعراق ، وسوريا ، والأردن ، ولبنان ، واليمن .. ويقدر أمين الغورى شهداء هذه الثورة بنحو ألفين و٤٠٠ شهيداً عربياً ، وضعف هذا العدد من الجرحى العرب «.. وبذلك تكون سلطات الاحتلال البريطانى والصهيونيون معاً . قد قتلوا نحو ثمانية آلاف من المدنيين والمقاتلين العرب ، بالإضافة إلى قيام الانجليز بعمليات نسف واسعة للقرى والاحياء الفلسطينية ، واعتقال العديد من رجال الدين والزعماء العرب ، وبلغت خسائر هذه الثورة ، ونتائج الإضراب الكبير بنحو ثلاثين مليون جنيه استرلينى على الأقل» [١] .

★★★

وهكذا : وفى ظل أطول إضراب عرفته المنطقة العربية كلها والذى وصل إلى (١٧٥ يوماً) .. كان الكفاح "السياسى" مترافقاً مع الكفاح «المسلح» على أرض فلسطين . ومؤكداً انتقال القيادة السياسية من أيدى زعماء الاحزاب الفلسطينية «المحافظة» .. إلى أيدى قيادات جديدة من الشباب الفلسطينى الثورى ، المثقف ، فى المدن ، وقيادات ثورية ناهضة فى الريف الفلسطينى ، نظمت نفسها بنفسها ، وبمبادراتها الشخصية .

واتسع نطاق الثورة «بحيث شهدت فترات إضطرت بريطانيا خلالها إلى مرابطة ٥٠٪ من كامل جيشها وعسكرته داخل فلسطين» [٢] .

وإزاء حرج موقف بريطانيا ، وافتضاحه أمام العالم كله ، ضغطت الحكومة البريطانية على الحكام العرب ... لوقف انتفاضة الفلسطينيين المسلحة عام ١٩٣٦ .. زمان .. تماماً مثلما طلبت أمريكا من ياسر عرفات وقف ثورة الشعب الفلسطينى المسلحة التى اندلعت فى أعقاب افتتاح إسرائيل لنفق البراق أسفل المسجد الأقصى فى سبتمبر ١٩٩٦ .

وكعادة حكامنا الأفاضل ، فى كل زمان ومكان :رضخوا على الفور للضغوط البريطانية - كما يرضخون اليوم للضغوط الامريكية !! - خوفاً على عروشهم ، وتدخلوا لدى الثوار العرب بكل مالديهم من نفوذ وأموال ، ومحايل ، ووعود .. حتى توقفت بالفعل ، العمليات "العسكرية" للثورة فى ٢٢ نوفمبر ١٩٣٦ ، وجاءت لجنة «بيل» البريطانية ، من أجل ما اسموه وقتها «بالتحقيق فى أسباب الاضطرابات» .. وهى اللجنة المعروفة التى أعلنت قرارها الشهير بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود فى ٧ يوليو ١٩٣٧ !!

وعلى أثر صدور قرار التقسيم ، عاد أهالى فلسطين فى الأول من أكتوبر سنة ١٩٣٧ إلى حمل السلاح ثانياً ، واستمر كفاحهم المسلح إلى جانب مقاطعتهم الاقتصادية للمنتجات

---

(١) أمين الغورى : «١٥ مايو ١٩٤٨» - صفحة (٣٧) - دار النشر العربية - بيروت - فى ١٩٥٩ .
(٢) أرى بوير - صفحة (٥٨) - مصدر سابق .

اليهودية حتى صيف ١٩٣٩ .

وخلال هذه الفترة ، قدم العرب ، وفقاً لتقديرات «هانى الهندى» [١] ستة آلاف شهيد من «المقاتلين» وأربعة آلاف من الأهالى و«المدنيين» العرب الذين راحو ضحية التفجيرات والاعتداءات البريطانية والصهيونية على أهالى فلسطين .

أما مجموع ما قدمه عرب فلسطين خلال الثلاثين عاماً التى تلت زحف الصهاينة على فلسطين ، فيقدره «أميل الغورى» [٢] بما يزيد على ثلاثين ألف شهيد من المقاتلين والمدنيين العرب .. فضلاً عن أربعين ألف شهيد ، و(١٩٦) مناضلاً فلسطينياً علقتهم سلطات الاحتلال على أعواد المشانق خلال الفترة التى خضعت فيها فلسطين للزحف الصهيونى والتسلط البريطانى .

وطوال هذه السنوات المريرة ، وحتى ظهور "الجامعة العربية" فى عام ١٩٤٥ وتبنيها للمقاطعة العربية والإشراف عليها .. حمل عرب فلسطين على كاهلهم العبء الأكبر من المسيرة المجهولة للمقاطعة العربية لكل ما هو صهيونى ، وهو ما تتجاهله للأسف كتب وأوراق التاريخ «الرسمى» والحكومى .. للمقاطعة العربية لإسرائيل ، الصادرة عن الجامعة العربية .. ربما ، وكما قلنا من قبل ، لأنها صادرة عن جامعة دول "وحكومات" .. وليس عن جامعة شعوب وأحزاب وتنظيمات شعبية ونقابية . !!!

وربما : وكما قلت أيضاً من قبل .. لأننا ، فى الدول العربية .. قد اعتدنا - خلاص !! - على هضم دور الشعوب وتجاهل حقها !!

◆□◆

---

(١) هانى الهندى - صفحة (١٢) - مصدر سابق

(٢) أميل الغورى - «١٥ مايو ١٩٤٨» - صفحة (٤٢) - مصدر سابق .